

الأقسام في القرآن

(56) المعند "الشهادة للآمثل": "فإن طنت أن اللّاه عني بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفتري أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب اللّاه شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الآمم الماضية؟ كلا: لم يعن اللّاه مثل هذا من خلقه، يعني الآمم التي وجبت لها دعوة إبراهيم (كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس) وهم الآمم الوسطى، وهم خير أُمّة أُخرجت للناس". (1) الحلف بالنبى كناية ريما يحلف القرآن الكريم بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كناية، قال سبحانه: (لا أُقسِمُ بِرَهْذَا الْبَلَدِ * وَأَنْزَلَتْ حَرْثًا * بِرَهْذَا الْبَلَدِ * وَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) . (2) والحرفُ بمعنى المقيم وكأنّه سبحانه يقول: وأنت يا محمد مقيم به، وهو محلّك وهذا تنبيه على شرف البلد بشرف من حلّ به وهو الرسول الداعي إلى توحده، وإخلاص عبادته، وبيان أن تعظيمه له وقسمه به لا جله ولكونه حالاً فيه، كما سميت المدينة طيبة لأنّها طابت به حياً وميتاً. (3) وكأنّ الآية تشير إلى المثل المعروف شرف المكان بالمكين، وأنّ قداسة مكة والداعي إلى الحلف بها هو احتضانها للنبي يقول العلامة الطباطبائي: والحل مصدر كالحلول بمعنى الإفاضة والاستقرار في مكان، والمصدر بمعنى الفاعل، والمعنى: أقسم بهذا البلد، والحال أنّك حال به مقيم فيه، وفي ذلك تنبيه على تشرف مكة بحلوله فيها وكونها مولده ومقامه. (4) _____ 1 - الميزان: 1|332. 2 - البلد: 1-4. 3 - مجمع البيان: 10|492. 4 - الميزان: 20|289.